

## بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس : ١ - تفسير الآيات ٢٤-٠١

٠٧-٠٤-٢٠٠٠

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### الفرق بين مقام الألوهية ومقام الرسالة :

أيها الأخوة المؤمنون، مع الدرس الأول من سورة عبس، والآيات الأولى:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى \* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى \* وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى \* أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى \* أَمَّا مَنْ اسْتَعْى \* فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى \* وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى \* وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى \* وَهُوَ يَخْشَى \* فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾

[سورة عبس: ١٠]

لا بدَّ قبل شرح هذه الآيات من مقدِّمة، هناك مقام الألوهية، وهناك مقام الرسالة، فلا بد أن يكون هناك فرق واضح بين المقامين، لنلا تختلط الأمور، فيؤلِّه النبي عليه الصلاة والسلام، فلا بدَّ من تمايز مقام الألوهية عن مقام النبوة، فالنبي عليه الصلاة والسلام معصومٌ من أن يخطئ؛ في أقواله، وأفعاله، وإقراره، فلا في أفعاله خطأ، ولا في أقواله خطأ، ولا في إقراره خطأ، والإنسان الوحيد الذي يعدُّ كلامه تشريعاً، وإقراره تشريعاً، وأفعاله تشريعاً، هو رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد عصمه الله عزَّ وجل من أن يخطئ، وأمرنا أن نأخذ منه، وأن ننتهي عما عنه نهانا، فقال تعالى:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

[سورة الحشر: ٧]

فكلامه تشريع، وأفعاله تشريع، وإقراره تشريع، ولكن لنلا يختلط مقام النبوة والرسالة مع مقام الألوهية سُمح للنبي عليه الصلاة والسلام بهامش اجتهادي ضيقٍ جداً، يجتهد فيه؛ فإن أصاب أصاب، وإن اجتهد خلاف الأولى جاء الوحي فصح له، ولماذا سُمح له بجانب اجتهادي؟ ليكون هناك فرق بين مقام الإله ومقام النبي، ولنلا يُعبد النبي من دون الله.

## ثُرْكَ لِلنَّبِيِّ هَامِشٌ اجْتِهَادِيٌّ ضَيِّقٌ لِيَكُونَ فَارِقًا بَيْنَ مَقَامِ النَّبُوَّةِ وَمَقَامِ الْأَوْهِيَّةِ :

### ١ - لأنه لا معصية من دون تكليف :

أيها الأخوة، الحقيقة الأولى هي أنه لا معصية من دون تكليف، لهذا المسجد أبوابٌ ثلاثة، ليس هناك باب مسموح الخروج منه وباب ممنوع، لو وُضِعَتْ لوحة ممنوع وأخرى مسموح وخرج إنسان من الممنوع لكان عاصياً، فالحقيقة الأولى: لا معصية من دون تكليف.

النبي عليه الصلاة والسلام جاءه أحد زعماء قريش، والشيء المألوف، والمعروف، والطبيعي، والمنطقي أن هذا إذا أسلم أسلم معه خُلُقٌ كثير، الناس متبوعون وأتباع، المتبوعون يتبعون الأعلام دائماً، فكل إنسان إذا سعى لهداية إنسانٍ متبوع، فكل أتباعه سوف يقلّدونه، فحرصُ النبي عليه الصلاة والسلام على هداية هذا الإنسان حرصٌ كبير، وهذا موقفٌ طبيعي، وصحيح، ومألوف، ومنطقي، وواقعي.

بربكم، لو أن أحداً من الأخوة الدعاة خُيِّرَ بين أن يلتقي برجلين؛ رجلٍ محبٍ، مستقيم، تائب، عابد، سائح، ورجلٍ منكرٍ، معترضٍ، مُعاندٍ، أيهما أهون عليك: أن تلتقي مع محبٍ، مع خاضعٍ، مع مؤمنٍ مستسلمٍ، أم مع منكرٍ، معاندٍ، فظٍ، غليظٍ؟ الأهلون أن تلتقي مع إنسان مؤمن، والجلسة عندئذٍ مُريحة جداً. والنبي اجتهد لا لراحته، ولا لصالحه، ولكن لصالح الدعوة، فاختر الأصعب، واختر الأقوى، واختر الأشد، اختار الإنسان المتعب، فكان مهتماً بهذا الإنسان، فجاءه أحد أصحابه الكرام، ابن أم مكتوم، وكان كفيف البصر، وقال: يا محمد يا محمد، والنبي عليه الصلاة والسلام انزعج منه، وأعرض عنه، وتغيّر لون وجهه.

تماماً كما لو أن أستاذاً كبيراً في الرياضيات عنده ضيفٌ كبير، وهو حريصٌ على هدايته حرصاً لا حدود له، وهو منهمكٌ في المناقشة، دخل ابنه وقال له: يا أبتِ دلّني على حل هذه المسألة، فماذا يقول له؟ الآن اخرج، أنا لك دائماً، وكل وقتي لك، أمّا الآن فدعني، دعني وهذا الإنسان، هذا الذي حصل. لذلك قال بعض العلماء: إن الله عزَّ وجل عتب للنبي ولم يعتب عليه، وفرقٌ كبير بين أن تعتب له، وأن تعتب عليه، فلو دخلت الأم على غرفة ابنها، فرأته يدرس حتى الساعة الثانية فجراً، قد تصيح به: إن لجسمك عليك حقاً يا بني، قم إلى الفراش واسترح قليلاً، إنها الآن غاضبة، أفاضبةٌ له أم عليه؟ له، فقال العلماء: إن الله عتب على النبي لأنه حمل نفسه فوق طاقته، لأنه اختار الأصعب، اختار الإنسان الأصعب، والأقسى، والمُعاند، والكافر.

### ٢ - لأن النبي عليه الصلاة والسلام اختار الأصعب فقد عتّب الله له ولم يعتب عليه :

الله عزَّ وجل وَصَفَهُ فَقَالَ:

### ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾

هذا وصف، وليس هذا تقييماً، أنا أقول لكم: فلان خرج، أما إذا قلت: بنس ما فعل، فأنا أُقيِّم، فأنا عندنِي أُقيِّم، لو أنني قلت: خرج أو دخل، فهذا وصف، أما إن قلت: بنس ما فعل، نعم ما فعل، صار تقييماً، فالله عزَّ وجل قال:

### ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾

الذي اجتهد فاختر المركب الصعب، لكن الوحي لفت نظره إلى أن هذا الذي تراه كبيراً، هذا الذي تراه قوياً وتراه متبوعاً، هذا الذي تعلَّق آمالاً على هدايته، لعلم الله فيه لا تضيِّع وقتك معه. الإنسان قد يجتهد، وقد يكتشف خطأ اجتهاده، قد يجتهد وقد يعلم أن اجتهاده لم يكن في محله، فالنبي عليه الصلاة والسلام لأنه ليس هناك تكليف، إذاً ليس هناك معصية، لا معصية من دون تكليف، ولأنه اختار الأصعب فقد عتب الله له ولم يعتب عليه.

### ٣ - الوحي مستقلٌ عن كيان النبي عليه الصلاة والسلام:

النقطة الثالثة هي أن الوحي شيءٌ مستقلٌ عن كيان النبي، لا يملك قلبه، ولا دفعه، ولا بيانه، ولا إخفائه، كمثل إنسان قابل شخصاً، وفي أثناء المقابلة تكلم معه كلاماً قاسياً، فلو عاد هذا الإنسان إلى بيته، بماذا يحدث أولاده وأهله؟ بإمكانه أن يخفي الكلمات القاسية من هذا الذي قابله، ومعظم الناس يفعلون هذا، وقد يتكلمون العكس، كنت قوياً، وكنت جريئاً، لأنه ليس هناك من يكذِّبه، فيتكلم كلاماً كما يحلو له، ولكن الإنسان من عادته أن يخفي النواحي السلبية، ويظهر الإيجابيات.

فالنبي عليه الصلاة والسلام أمينٌ وحي السماء، فلا يمكن أن يخفي شيئاً جاءه بالوحي، وهذه الآية بالمقياس البشري ليست لصالح النبي، فكأن الله يعاتبه، ولو أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يصطنع الوحي ويفتعله لما ذكر هذه الآية، ولأن الوحي شيءٌ مستقلٌ عن كيان النبي فلا يملك له جلباً، ولا دفعاً، لذلك جاءت هذه الآيات.

هناك شاهدٌ آخر يؤيده وهو أن الله عزَّ وجل حينما سمح أن يذاع حديث الإفك بين الناس، وأن يرجف المرجفون في المدينة أن السيدة عائشة ارتكبت الفاحشة مع فلانٍ من الناس، وأن هذا الخبر شاع، وسار في المدينة كالنار في الهشيم، وأن النبي عليه الصلاة والسلام تألم ألماً لا حدود له، والنبي يعرف أن امرأته طاهرة، ولكن ليس معه دليل إثبات، ولا دليل نفي، ولحكمةٍ بالغة بالغة تأخر الوحي أربعين يوماً، وهو في حيرةٍ من أمره، ولو أن الوحي من فعل النبي لقال بعد دقيقة، أو بعد ساعة، لقال آيةً براً فيها زوجته، لكن هذا لم يحدث، ليعلم الناس أن هذا الدين أصله وحي السماء، أي أن الإله أنزل على هذا النبي قرآناً عن طريق الوحي، فنحن ديننا أساسه الوحي، فإيمان المؤمن بالوحي مهمٌ جداً، فهذا الوحي لا يملك النبي له جلباً ولا دفعاً ولا توقيناً، لذلك جاء في الوحي عتابٌ للنبي، وجاء في الوحي تبرئةٌ للسيدة

عائشة، ولكن بعد مضيّ أربعين يوماً، إذا فالوحي مستقلّ عن كيان النبي عليه الصلاة والسلام. إذا تُرك للنبي عليه الصلاة والسلام هامشٌ اجتهاديّ ضيقٌ، ليكون هذا الهامش فارقاً بين مقام النبوة ومقام الألوهية.

مرّة - والشيء بالشيء يذكر - في موقعة بدر اختار النبي موقعاً لتمرّك أصحابه في المعركة، ولحكمةٍ بالغة بالغة بالغة حَجَبَ اللهُ عنه الموقع المناسب، حَجَبَهُ عنه وحيّاً، وحَجَبَهُ عنه إلهاماً، وحَجَبَهُ عنه اجتهاداً، وهناك موضوعاتٌ أقلُّ من هذا الموضوع بكثيرٍ جاءه الوحيُّ فيها، أما هذا الموضوع فقد حُجِبَ عنه الوحيُّ فيه، وحُجِبَ عنه الإلهام والاجتهاد، فاختار النبي موقعاً، فجاءه صحابيٌّ جليل، يكاد يذوب أدباً مع رسول الله وقال: يا رسول الله أهدنا المكان وحيّاً أوحاه الله إليك؟ أي إذا كان وحيّاً أوحاه الله إليك ولا كلمة، أمّا أنّ هذا المكان رأيٌّ ومشورة، هكذا سأل النبي. فقال عليه الصلاة والسلام: لا، إنه الرأي والمشورة. قال: يا رسول الله هذا ليس بموقع. بكلِّ جُرأة، وبكلِّ أدب، فالنبي علّمنا كيف يكون أدب الإصغاء إلى الناصح، فلولا أن الله حجب عنه الموقع المناسب إلهاماً وحيّاً واجتهاداً لما شرّع لنا هذا الكمال؛ كمال أن تصغيَ إلى الناصح، كمال أن يكون للناصح فضلٌ عليك، فالحقيقة أنه ما من أحدٍ أكبر من أن يُنقَد، وما من أحدٍ أصغر من أن يُنقَد، علّمنا النبي عليه الصلاة والسلام التواضع، وعلّمنا الإصغاء للناصح، قال له: لا بل هو الرأي والمشورة. فقال: يا رسول الله هذا ليس بموقع، وعلّل السبب. فقال: جزاك الله خيراً، وأمر أصحابه أن ينتقلوا إلى الموقع المناسب.

### نسيان النبي مؤظّف في التشريع :

يقول الله عزّ وجل:

**{ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى }**

[ سورة طه: ٥٢ ]

إنّ الله لا ينسى، لكن النبي بشر ينسى كما ينسى البشر، ولكن نسيان النبي مؤظّف في التشريع، فقد صلّى الظهر يوماً ركعتين:

**((صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشِيِّ الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ قَامَ إِلَى خَشْبَةِ فِي مَقْدَمِ الْمَسْجِدِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ وَخَرَجَ سَرْعَانَ النَّاسِ، فَقَالُوا: أَقْصَرْتَ الصَّلَاةَ؟ وَرَجُلٌ يَدْعُوهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُوَ الْيَدَيْنِ فَقَالَ:**

أَنْسَيْتَ أَمْ قَصُرَتْ؟ فَقَالَ: لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصِرْ، قَالَ: بَلَى قَدْ نَسَيْتَ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ  
مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَبَّرَ ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ  
رَأْسَهُ وَكَبَّرَ))

[متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

النبي علم أصحابه على الجزأة وعلى الصدق لا على النفاق، فسأل أصحابه، وهنا استنبط علماء الحديث التواتر، فإذا بأصحابه الكرام يقولون: بل صلينا ركعتين يا رسول الله، فورد عنه أنه قال: إنما نسيت كي أسن.

إن الله عز وجل وظف نسيانه في حكم شرعي، وهو سجود السهو، ولولا أن النبي نسي فصلى الظهر ركعتين، لما سن لنا سجود السهو.

إذاً هناك جانبٌ اجتهادي ضيقٌ جداً تُرك للنبى، فإن أصاب في اجتهاده أصاب، وإن لم يُصِب وتَرَكَ الأُولى، أو اتَّجِهَ اتِّجَاهاً أضعف، يأتِ الوحي ليلفت نظره ويصحح اجتهاده، أما في النهاية فالنبي عليه الصلاة والسلام معصومٌ من أن يخطئ في أقواله، وأفعاله، وإقراره، وقد أمرنا أن نطيعه استقلالاً، دون أن تعرض كلامه على القرآن.

أوامر العلماء والأمرء يجب أن تتوافق مع كلام النبي حتى تُطاع :

قال تعالى:

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾

[سورة النساء: ٥٩]

أولو الأمر هم العلماء والأمرء، وأمر العلماء والأمرء يجب أن تعرضها على كلام النبي عليه الصلاة والسلام، فإن وافقتها فعلى العين والرأس، وإن لم توافقها فلا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، وهذا منهج النبي عليه الصلاة والسلام:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى \* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى \* وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى ﴾

(( كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَفْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ مِنْهُمْ الْبِرَاءُ بِنُ مَالِكِ ))

[الترمذي عن أنس بن مالك]

دخل صحابي على النبي عليه الصلاة والسلام، فقال عليه الصلاة والسلام: أهلاً بمن خبرني جبريل بقدمه. قال: أو مثلي؟ قال: نعم يا أخي خاملٌ في الأرض علمٌ في السماء، وقد يكون الواحد منكم في الأرض في درجة دنيا اجتماعياً، أو اقتصادياً، أو علمياً، وهو عند الله في درجة غلباً، أما هؤلاء الذين نافقوا وكذبوا على الله وعلى الناس:

﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾

[سورة الكهف: ١٠٥]

هم صَغَارٌ عند الله:

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴾

لعلّ هذا الذي أعرضت عنه خيرٌ ألف مرّة من الذي أُقبلت عليه، وهذا درسٌ لنا ولسائر المسلمين، إنسان فقير طرق بابك، لعل الخير كله في هذا الإنسان، وإنسان كبير هو معرضٌ عنك، وأنت مقبلٌ عليه، فهذا الذي أُقبل عليك يجب أن تضعه في قلبك، لا تدري أين الخير؟ قال له:

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى \* أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾

الله عزّ وجل يربي الأمة بعظيمها :

طبعاً المؤمن الداعية أديب مع الله، يستقبل كل الناس، ويبشّ لكل الناس، ويرجّب بكل الناس، ولا يفرّق بين واحدٍ وواحد، فلعل الخير كله في أناسٍ لا تظنّهم أهلاً لدعوتك، وقد يخيب ظنك بأناسٍ تظنّهم أهلاً لدعوتك، وهذا درسٌ علّمنا إياه ربنا جلّ جلاله عن طريق النبي عليه الصلاة والسلام، والله عزّ وجل يربي الأمة بعظيمها.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾

[سورة الأحزاب: ١]

هو، ألا يتقي الله؟ فإذا قلت للمجتهد: اجتهد، أي: ثابر على اجتهادك.

(( لا أمثّل بهم فيمثّل الله بي ولو كنت نبياً ))

[كنز العمال عن عائشة]

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى \* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى \* وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى \* أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى \* أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى ﴾

فالله عزّ وجل قال:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

[سورة الليل: ٦-٥]

وهذه واضحة..

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى \* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾

[سورة الليل: ٨-١٠]

استغنى عن طاعة الله، استغنى عن درس العلم، استغنى عن معرفة الله، مشغول بديناه، غارق في ملذّاته، مقبور في شهواته، هذا استغنى عن الحق فلا يعبأ لا بدرس علم، ولا بتفسير آية، ولا بحكم فقهي، ولا بسيرة صحابي، يعنيه الدرهم والدينار، وتعس عبد الدرهم والدينار، وتعس عبد البطن، وتعس عبد الفرج، وتعس عبد الخميصة.

### إن أردت الحقيقة فأقل شيء في الدنيا يدك عليها :

أما من استغنى، أي أن المعرض لو التقى بالأنبياء جميعاً، ولو صعد إلى السماء فيرى كل شيء، ولو رأى ما بعد الموت، فلن يؤمن، والذي أراد الحقيقة دلّته بعة عليها، البعة تدل على البعير، والأقدام تدل على المسير، والماء يدل على الغدير، أفساء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج ألا تدلان على الحكيم الخبير؟ فإن أردت الحقيقة فأقل شيء في الدنيا يدك عليها، وإن لم تردها، لو كنت أكبر موظف في وكالة (ناسا) الفضائية، وترى كل يوم صور المجرات مما يذهل العقول ويبهرها فلن تؤمن. فالإنسان الذي لا يريد الحقيقة، وكان ذكياً جداً، مثله كمثل آلة تصوير عالية جداً، ولكن ليس فيها فيلم، فكل هذه المناظر التي تلتقطها لا تُطبع فيها، والإنسان الصادق، ولو كان متواضعاً في ثقافته، أو في اطلاعه، مثله كمثل آلة فيها فيلم، أي منظر يطبعه عليها، إن أردت الحقيقة كل شيء يدك عليها، وإن لم تردها لو التقيت مع الأنبياء جميعاً، ورأيت كل المعجزات، وصعدت إلى السماء فلن تؤمن، فالقضية قضية اختيار وقرار داخلي..

### ﴿ أَمَا مَنِ اسْتَعْنَىٰ \*فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴾

أيضاً هذا وصفت للنبي بأنه حريص على هداية الخلق، فإذا التقى بقوي أو بزعيم، فإذا اهتدى لعل من تبعه يهتدي، لكن الله عز وجل لفت نظره إلى أن هذا لا خير فيه.

### ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبُ ﴾

### لا يستطيع أحد أن يهدي إنساناً لم يرد الهدى :

يقول الله عز وجل:

### ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾

[سورة البقرة: ٢٧٢]

والله تعالى يقول:

### ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾

[سورة القصص: ٥٦]

أي أنك لا تستطيع أن تهدي إنساناً ما أراد الهدى، ثم إنك لست مسؤولاً عن هذا الذي لم يهتد:

﴿ فَاتِمًا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾

[ سورة الرعد: ٤٠ ]

أما دعوتك فإنها حق..

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[ سورة الشورى: ٥٢ ]

دعوتك حق، ولكن لأن الإنسان مخير، وهو حرٌ طليق، فليس بإمكانك يا محمد أن تجبر أحداً على الهدى.

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾

[ سورة القصص: ٥٦ ]

توجيه الوحي إلى النبي عليه الصلاة والسلام :

لست مسؤولاً..

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾

[ سورة البقرة: ٢٧٢ ]

لن تسأل عن عدم هدايتهم، ولن تستطيع أن تهدي من لم يُرد الهدى، أما أنت في دعوتك فعلى الحق المبين..

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[ سورة الشورى: ٥٢ ]

﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْغَىٰ \* وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ \* وَهُوَ يَخْشَىٰ \* فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَىٰ \* كَلَّا ﴾

هذا هو توجيه الوحي إلى النبي عليه الصلاة والسلام..

﴿ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾

الدين مودعٌ في أصل فطرة الإنسان :

دقق في معنى تذكرة، أي: شيءٌ يذكرك بشيء، ومعنى هذا أن الشيء السابق مرئيٌ من قبلك، فأنت إن ذهبت إلى بلد، وبعد حين أطلعك أحدٌ على صورةٍ لهذا البلد، فتقول: نعم والله أعرفه، هذه الصورة تذكرة؛ تذكرك بمشاهدتك لها سابقاً، والدين مودعٌ في أصل فطرة الإنسان، فأنت مبرمجٌ، ومفطورٌ،

ومجبولاً على حقائق الدين ومنهجه، فإن عرفت الله، وطبقت منهجه ارتاحت نفسك، واطمأن قلبك، وسعدت في الدنيا والآخرة، وهذا معنى قول الله عز وجل:

﴿ أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

[ سورة الرعد: ٢٨ ]

هكذا صُمِّمت، فأنت تحب العفة، وأمرَكَ اللهُ أن تكون عفيفاً، ففطرتك تطابق تكليفك، تحب الصدق، وأمرَكَ اللهُ أن تكون صادقاً، تحب الإنصاف، وأمرَكَ اللهُ أن تكون منصفاً، فتطابق أوامر الله مع فطرة الإنسان تطابق تام، لذلك قال تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾

[ سورة الروم: ٣٠ ]

أن تقيم وجهك للدين حنيفاً، هو الشيء نفسه الذي فُطِرَتْ عليه، وهذا تطابق تام، لذلك الإنسان لا يرتاح، ولا يطمئن، ولا ينام قرير العين إلا إذا أطاع الله عز وجل، وعرف سرَّ وجوده، وغاية وجوده.

﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ \* فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴾

## آيات الاختيار :

الإنسان مخيرٌ ..

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾

[ سورة الكهف: ٢٩ ]

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾

[ سورة الإنسان: ٣ ]

﴿ وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ﴾

[ سورة البقرة: ١٤٨ ]

﴿ وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى ﴾

[ سورة فصلت: ١٧ ]

﴿ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّنَاهُمْ هُدَى ﴾

[ سورة الكهف: ١٣ ]

هذه آيات الاختيار:

﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾

أنت عليك أن تُبَيِّن، والإنسان حُرٌّ في أن يستجيب أو لا يستجيب، لأنه مخيَّر، أنت عليك أن تبَيِّن، وأن توضِّح، وأن تأتي بالأدلة، وأن تأتي بالبراهين، وأن يكون كلامك منطقيًا، فالإنسان إن لم يستجب فهذه مشكلته، وليست مشكلة من يدعوهُ إلى الله عزَّ وجل.

**النبي لا ينطق عن الهوى مع أن معظم كلام الناس ينطق عن الهوى :**

قال تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۚ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۖ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۖ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۖ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۙ ﴾

أي أن هذا الوحي الذي جاء:

﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۖ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۙ ﴾

مكرمة عن الخطأ، وعن الدأس، وعن المصالح، طبعاً كل كلام الإنسان ينطق عن الهوى أو لا ينطق، أمّا النبي عليه الصلاة والسلام فلا ينطق عن الهوى، مع أن معظم كلام الناس ينطق عن الهوى، والإنسان يبيع بضاعة، فمن دون أن يشعر يثني عليها ثناءً لا حدود له، هذا كلامٌ ينطلق من الهوى، أذكر لكم طرفة: ذات مرة دخلت إلى بائع ستائر، فألقى عليّ محاضرة قال لي: كلما كانت الأطوال أكثر يكون أجمل، قلت له: كم تعني؟ قال: الحائط كم طوله؟ قلت له: ستة أمتار، قال لي: ثلاثة مع ثلاثة زائد واحد يبدو المنظر حينئذ جميلاً، محاضرة، هذا كلام منطقي، اخترت ثوباً، فبقياسه ظهر أنه خمسة، ثلاثة، مع اثنين، فقال لي: هذا المطرز مع الفرد أجمل يا أستاذ، أجمل بكثير، رأساً عكس الفكرة، إذاً هو ينطق عن الهوى، فلما وجد أنني تعلّقت بهذا الثوب - أحببته - وجاء طوله أقل بمتراً من الضعف، فأعطى قاعدة ثانية، وقال: هذا المطرز على الفرد أجمل يا أستاذ بكثير، قلت له: مقبول، إذاً هو ينطق عن الهوى، وأكثر كلام الناس في علاقاتهم ينطقون عن الهوى.

**كمال الله مطلق وكلامه مطلق في كماله :**

هذا الوحي من السماء:

﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۖ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۙ ﴾

مكرمة أن يكون فيها مصلحة:

﴿ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۖ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۙ ﴾

ملائكة..

﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۙ ﴾

هذا الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مكرّم عن أن يكون فيه مصلحة، أو هوى، أو خطأ، كلامٌ هو كلام رب العالمين، وكمال الله مطلق، وكلامه مطلق في كماله. صحفٍ مكرمة عن كل زيف، عن كل عيب، عن كل خطأ، عن كل سطحية..

﴿ مَرْفُوعَةٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾

من كل ما يشوبها:

﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾

ملائكة كرام:

﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ \* قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ ﴾

حيثما وردت كلمة (الإنسان) معرفةً بأل في القرآن فهو الإنسان قبل أن يؤمن :

بالمناسبة: حيثما وردت كلمة (الإنسان) معرفةً " بأل " في القرآن فهو الإنسان قبل أن يؤمن..

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾

[ سورة الانفطار: ٦ ]

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾

[ سورة المعارج: ١٩-٢٠ ]

ورد في القرآن " فطرة" وورد "صبغة"، وكل مولود يولد على الفطرة، لكن الذي اتصل بالله عزّ وجل، يصطبغ قلبه بكمال الله عزّ وجل، فكلمة الإنسان إن وردت في القرآن معرفةً " بأل " فهو الإنسان قبل أن يؤمن، فهذا "الإنسان" إن لم يؤمن قُتِلَ، لُعنَ، وأهلك نفسه في الدنيا والآخرة:

﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ ﴾

ما الذي حمّله على أن يكفر؟ ألنّ الله أوجده من عدم؟ ألنّ الله كرّمه؟

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

[ سورة الإسراء: ٧٠ ]

إعجاز الله في خلق الإنسان :

لماذا هو يكفر؟ ألنّ الله تعالى قال:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ \* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ \* وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

[ سورة البلد: ٨-١٠ ]

الألثة خلقه، وألقى حُبّه في قلب أمه وأبيه؟ الأنة خلقه وشق سمعه وبصره؟! ما الذي حملة على أن يكفر، ألأن الله أوجهه؟ ألأن الله خلقه في أحسن تقويم؟ ألأن الله أنعم عليه بنعمه الظاهرة والباطنة؟ ما الذي حملة على أن يكفر؟!!!

**﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ \* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ \* مِنْ نُطْفَةٍ ﴾**

أي أنّ الهيكل العظمي يضم عظم عُنق الفخذ، يتحمّل ضغطَ مئتين وخمسين كيلواً، والعظم الثاني كذلك، أي أن الإنسان يمكنه أن يتحمل حملاً يبلغ نصف الطن، ولكن هذا العظم ما أصله؟ ماءً مهين، كيف أصبح الماء عنصراً متيناً، قوياً، كيف أصبح ميناء الأسنان ثاني أقدس عنصر في الكون بعد الماس؟ فمن أين جاءت هذه القساوة؟

**﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾**

[ سورة التين: ٤ ]

ألأن في العين مئة وثلاثين مليون عضية ومخروط؟ بكل واحد منا في شبكية العين لديه مخاريط وعصيات، واحدة منها للون الأبيض والأسود والثانية للألوان، مئة وثلاثون مليون من أجل صورة دقيقة جداً، من أجل أن تفرّق بين درجتين من ثمانمئة ألف درجة للون الواحد، إذاً فاللون الأخضر درجته ثمانمئة ألف درجة، فالعين البشرية السليمة تفرّق بين درجتين. من أجل أن تشم كل الروائح، وأن ترى كل الصور والمرئيات، وأن تسمع أدقّ الأصوات، وأن تمشي، فوازن بين كُلية طبيعية وكذلك كُلية صناعية، ما أبعد الفرق بينهما؟ وبين آلة للتصوير وبين عين الإنسان.

**الإتقان والدقة في خلقه سبحانه :**

قال تعالى:

**﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ \* مِنْ نُطْفَةٍ ﴾**

هل من المعقول أنّ نقطة ماء تصيح بعد تسعة أشهر طفلاً له جمجمة، دماغ، عين، حواجب، أجفان، رموش، قَرْنِيَّة، قزحية، جسم بلوري، خلط مائي، خلط زجاجي، أعصاب، شبكية، عصب بصري؛ ثمانمئة ألف عصب بغمد واحد، أمعقول هذا؟! معدة فيها خمسة وثلاثون مليون عصاره، أمعاء دقيقة، عمر الخلية في الأمعاء ثمان وأربعون ساعة، هذا شيء لا يصدق، كل واحد منا تتجدد زُغابات أمعائه كل ثمان وأربعين ساعة مرة، أقصر عمر خلية بالإنسان زغابات الأمعاء؛ ثمان وأربعون ساعة، وأطول عمر خمس سنوات، والإنسان يتجدد كلياً كل خمس سنوات، كلياً ما عدا دماغه وقلبه، لو تجدد دماغه، فيا لطيف، تجده يقول: والله كنت طبيباً، وقد مُحيت كل المعلومات من دماغه:

﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ \* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ \* مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾  
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

[ سورة القمر: ٤٩ ]

لو كان بالتصنيع خطأ، وكان بالشعر أعصاب حس، ماذا تفعل؟ تحتاج لأن تذهب إلى المستشفى لتتلق، تتخدر كاملاً لتتلق، وكانت أعصاب حس بالأظافر والشعر، لصرت كالوحش، أو تجري عملية جراحية فتخدر لكي تتلق، ولولا هذه المفاصل لأكل الإنسان كما تأكل القطّة، يضع الصحن على الأرض وينبطح، ويلعق بلسانه، ليس هناك طريقة ثانية.

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾

عظام، وأعصاب، ولو أن هذه المئانة غير موجودة، فقط الكليتان والحالبان، لسال البول إلى الخارج مباشرة، لا توجد مئانة، كل عشرين ثانية تخرج نقطتا بول، يحتاج إلى فوط صحية ماركة " الرجل السعيد "، لكن الله عزّ وجل خلق لك مئانة، تبقى خمس أو ست ساعات وأنت بكامل راحتك، نظيف، مهفّف، مُعَطَّر.

آيات قرآنية تؤكد دقة خلق الإنسان :

قال تعالى:

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ \* مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾  
﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ \* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾

[ سورة البلد: ٨-٩ ]

كل حرفٍ تنطق به؛ تسهم في صنعه سبعة عشر عضلة، فخلال ساعة كم كلمة تكلمت، وكم عضلة تحركت؟

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

[ سورة البلد: ١٠ ]

كل قال ابن عباس: الثديان، غذاء بارد في الصيف، دافئ في الشتاء، مُعَقَّم، فيه مناعة الأم، سهل الهضم، جاهز فوري..

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ \* فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾

[ سورة البلد: ١٠-١١ ]

كل ماذا ينتظر؟

﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ \* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ \* مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ \* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾

كيف يكون هذا الطفل داخل الرحم، الذي حجمه يبلغ سبعمئة وخمسين سنتيمتراً مكعباً، سوف يخرج؟ ولو قرأتم عن آلية الولادة لخشع قلوبكم، واقشعر جلدكم، قال العلماء: أمر هرموني يأتي إلى عظم الحوض فيتسع، أمر هرموني ثانٍ يأتي إلى الطفل الجنين فينقلب، أمر هرموني ثالث.. هذا الرحم يتقلص قبل الولادة تقلصاً لطيفاً، مُتَرَامِناً، مبرمجاً، تقول لها القابلة: أنتِ لم يحن وقت ولادتك، بعد خمس ساعات ستلدين، تقيس المسافة الزمنية بين التقلّصين، ومنها تعرف متى ستكون الولادة، فالرحم ينقبض انقباضاً لطيفاً، لأنه لو انقبض انقباضاً عنيفاً لقتل الطفل، فإذا خرج الطفل ينقبض انقباضاً شديداً جداً، فالرحم كالصخر، لأنه الآن مئة ألف شريان كانت فيه وانقطعت، فإذا انقبض انقباضاً شديداً أغلق كل الشرايين، ولو أن الانقباض كان قاسياً قبل الولادة وليناً بعدها لماتت الأم وطفلها، فإن كان قبل الولادة عنيفاً أمات الطفل، وإن كان بعد الولادة رخواً أمات الأم من النزيف:

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ \* مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ \* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾

يولد، فيفرحون، الحمد لله على سلامتك، ولو كان عنده ثقب مفتوح لاحتجت إلى منتين وخمسين ألف ليرة لإجراء العملية، ثقب بوتال لو بقي مفتوحاً للزيم إجراء عملية، فبين الأذنين هناك ثقب مفتوح لو لم يُغلق في أثناء الولادة لاحتجت إلى ربع مليون ليرة، ويصبح لون الطفل أزرق، وإذا لم يجروا له عملية يموت أمّا وهو سليم، رضع من ثدي أمه، وقد فرح الجميع، ثم ظهرت أسنانه ففرحوا، ثم قال: بابا، فطار عقل أبيه، بعد هذا دخل الحضانة، فقرأ الفاتحة، الأسرة كلها اختلّت توازنها لأنه قرأ الفاتحة مثلاً، بعد هذا ذهب إلى المدرسة، وبعدها أخذ ابتدائية، وإعدادية، ثم الثانوية، وبعدها أخذ بكالوريا، وبعدها يريد أن يشتغل، فتوَمَّن له عملاً، ثم يريد أن يتزوج، فتزوج، ثم جاءه أولاد، ثم تقدم في السن، فزوّج أولاده، وزوّج بناته، ثم بدأت متاعبه الصحية، حتى صار عنده كيس أدوية:

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾

هذه رحلة لا بدّ منها، وكل واحد يقف على المحطة الآن، وهذا القطار من البداية إلى النهاية، تجد أحدهم نزل من القطار في المحطة الوسطى وهذا بالرابعة، والآخر بالخامسة.

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ \* ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ \* كَلَّا لَمَّا يُفْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾

إلى الآن لم تنتب إلى الله عزّ وجلّ؟ إلى الآن لم تستقم؟ إلى الآن لم تصطلح مع الله عزّ وجلّ؟!!

إلى متى وأنت باللذات مشغولٌ وأنت عن كل ما قدّمت مسؤولٌ

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمرى في المقام شنيعٌ

لو كان حبك صادقاً لأطعت ه إن المحب لمن يحب يطيعُ

\*\*\*